المواطنة والتعايش السلمي في عهد الدولة الآصفية في حيدر آباد بالهند

دراسة وصفية تحليلية في ضوء المصادر الأردية

Citizenship and peaceful coexistence during the era of the Asafia state in Hyderabad, India, a study Analytical descriptive in the light of Urdu sources

Dr. Wila Syed Abdulsattar Al-syed
Assistant Professor, Department of Urdu language & Its literature
Faculty of Social Studies, AL-Azhar University, Egypt
Email: dr.walaa@azhar.edu.eg

Abstract

The Islamic state ruled India with those firm principles and values endorsed by Islamic law, so they were keen to establish justice and equality between subjects of different religions and beliefs, and guaranteed them freedom of belief and practicing their religious rites, and preserved their rights, which strengthened the values of citizenship and peaceful coexistence. The research deals with the period of the rulers of the Asafia Muslim state in Hyderabad (Deccan), who ruled for more than two centuries, as one of the honorable models for the rule of the Islamic state. To build a great civilization in Hyderabad that was a successor to the Mongol civilization, as a result of realizing the values of citizenship and peaceful coexistence in Hyderabadi society.

***Key Words**: Islamic Law, values of citizenship, peaceful coexistence, Asafia Muslim state, civilization in Hyderabad, Mongol civilization*

المقـدمة

قدم الإسلام للبشرية منهجاً شاملاً للحياة يكفل للإنسان حياة كريمة آمنة، وأقرت الشريعة الإسلامية عدة دعائم وأسس كفلت للمجتمعات استقرارها وأمنها وحياتها الكريمة، والمواطنة والتعايش السلمي من تلك القيم والدعائم التي أقرتها الشريعة الإسلامية، وفي ظلها يمكن للإنسان أن يحقق رسالته في إعمار الكون، وصناعة الحضارة. وقد اتبع الحكام المسلمون تعاليم الشريعة الإسلامية، ومنهج القرآن الكريم أثناء فتوحاتهم وحكمهم لمختلف البلاد، مما نتج عنه بناء حضارة إسلامية عظيمة.

وقد حكمت الدولة الإسلامية بالهند بتلك المبادئ والقيم الراسخة التي أقرتها الشريعة الإسلامية، فحرصوا على إقامة العدل والمساواة بين الرعايا من مختلف الأديان والمعتقدات، وكفلوا لهم حرية الاعتقاد وممارسة شعائرهم الدينية، وحافظوا على حقوقهم، مما عزز من قيم المواطنة والتعايش السلمي والذي كان سبباً في صنع حضارة عظيمة بالهند.

يتناول البحث فترة حكم الدولة الآصفية المسلمة في حيدر آباد (الدكن)، والتي استمرت ما يزيد عن قرنين من الزمان، باعتبارها أحد النماذج المشرفة لحكم الدولة الإسلامية، فاتسمت فترة حكمها بالعدل والمساواة ورعاية كافة المواطنين والذين تنوعت دياناتهم ومعتقداتهم، وكان أغلبهم من الهندوس، واستطاعوا أن يشيدوا

حضارة عظيمة بحيدر آباد كانت خلفاً للحضارة المغولية، وذلك نتيجة لتحقيق قيم المواطنة والتعايش السلمي في المجتمع الحيدر آبادي.

ينقسم البحث إلى مقدمة علمية وتمهيد ومبحثين، يتناول التمهيد نبذة مختصرة عن منهج الدين الإسلامى في التعامل مع غير المسلمين، ثم الحديث عن الدولة الإسلامية بالهند، وما اتسم به حكم المسلمين هناك، مع الإشارة إلى آراء بعض المستشرقين الإيجابية عن تلك الفترة. ويتناول المبحث الأول "الدولة الآصفية في حيدر آباد منذ التأسيس وحتى السقوط والانضمام للهند" تأسيس الدولة الآصفية، وحكامها، وعلاقاتهم بالإنجليز، ومحاولات إثارة الفتن من الهندوس خارج حيدر آباد، ثم التقسيم وواستقلال حيدر آباد، وفي النهاية سقوط حيدر آباد وانضمامها للهند ونهاية حكم الدولة الآصفية الإسلامية. ويتناول المبحث الثاني "المواطنة والتعايش السلمي في عهد الدولة الآصفية في حيدر آباد وبواعث ازدهار الحضارة الإسلامية"، ويتضمن كيف كانت قيم المواطنة والتعايش السلمي وإقامة العدل والمساواة سبباً في صناعة حضارة مزدهرة بحيدر آباد، وذلك من خلال عدة نقاط وهي الاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية، والحياة الاقتصادية ورفع مستوى معيشة الفرد، والتسامح الديني والاهتمام بدور العبادة. ويتهي البحث بالنتائج العلمية، ثم ثبت المصادر والمراجع. والله من وراء القصد

تمهيد

"جاء الإسلام، وفي العالم مجتمعات مختلفة الأسس والغايات؛ استمدت حياتها من أوضاع بشرية، وأفكار إنسانية بحتة؛ فاتخذ بعضها العصبية الجنسية أساساً للحياة، واتخذ البعض الآخر أساس حياته، العصبية الإقليمية. فكان من رحمة الله عز وجل أن أنزل الكتاب إرشاداً وهداية لما يجب أن يسلكه الإنسان في تنظيم حياته، ويتخذر أساساً لمجتمعه فنحى الجنسية العصبية والإقليمية والمذهبية الخاصة، وسما بالإنسانية، وجعل الأساس في بناء المجتمعات هوالاعتصام بمبدأ الخير العام، والرحمة الواسعة والعدل المطلق".[1]

كما جعل الإسلام من حقوق الإنسان وحرياته أساساً لبناء المجتمع المتكامل، وضمن للفرد حرية الاعتقاد بغض النظر عن لونه، وجنسه، ومعتقداته، وجعل الدخول في الإسلام مبنياً على أساس الحرية والاختيار، يقول المولى عز وجل في محكم آياته: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

وهذه الحرية في الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمبادئ المواطنة والتعايش السلمي والتي تعتبر من الدعائم التي تقرها الشريعة الإسلامية، فقد كفل الإسلام حقوق غير المسلمين، وتعهد برعايتهم وحياتهم حياة كريمة آمنة، ومساواتهم في الواجبات والحقوق مع المسلمين، تحقيقاً لمبدأ المواطنة والذي يكفله

[1] – محمود شلتوت، منهج القرآن في بناء المجتمع، دار الكتاب العربي بمصر، شوال 1375هـ، ص4، 5

[2] – سورة البقرة ، الآية 256

الإسلام للمجتمع كافة."فالمواطنة تعنى المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق، وتنطبق على المواطنين الذين يعيشون في وطن واحد دون تفاوت بينهم، وتستدعى المساواة بينهم في الحقوق المنبثقة من الانتماء الوطني باعتبارها مصدراً لها تندمج فيها الحقوق الإنسانية"[3]

كما يرسخ الإسلام لثقافة الأخوة الإنسانية والتسامح الديني والتعايش السلمي بين البشر دون النظر إلى الجنس أو اللون أو العرق أو المعتقد الديني، يقول المولى عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4]

الدولة الإسلامية في الهند

حرص الحكام المسلمون على تطبيق منهج الشريعة الإسلامية أثناء حكمهم للبلاد، والالتزام بمباديء المواطنة والتعايش السلمي منذ بداية فتح العربي الإسلامي للهند.

فعندما أُرسل محمد بن القاسم لفتح السند من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي تلقى نصائح هامة من الحجاج، ارتبطت معظمها بالتعامل مع الرعايا على اختلاف عقائدهم، والاهتمام بشئونهم وإكرامهم وضرورة التحلي بالعدالة والتسامح الديني واحترام الآخر.[5]

جدير بالذكر أن لقى الإسلام قبولاً كبيراً بين الطبقات الفقيرة التى كانت تعانى من مظالم المجتمع الطبقي بالهند، إذ عانوا من الاحتقار والنبذ من الطبقة الحاكمة. ولما دخل الإسلام الهند رفع شعار المساواة، والأخوة الإنسانية، فوجد فيه المنبوذون خلاصاً مما يعانون، واعتنقوا الإسلام، وبفضله عاشوا حياة كريمة تمتعوا فيها بالمساواة مع باقي طبقات المجتمع. [6]

واتسم حكم المسلمين الفاتحين بالتسامح الديني واحترام حقوق الإنسان، فتعاملوا مع المجوس وغيرهم من أصحاب المعتقدات الآخرى مثل الهندوس والبراهمة وغيرهم معاملة أهل الكتاب، والنظر إليهم باعتبارهم ذميين، فتمتعوا بكامل حريتهم الدينية، ومارسوا شعائرهم وطقوسهم أينما شاءوا، وتقلد الهندوس منهم – بصفة خاصة – مناصب رفيعة في عصر الحكم الإسلامي؛ إذ اعترف الحكام المسلمون بمكانة غير المسلمين في تنظيمهم الإداري، فعهدوا إليهم بالعديد من الأمور الإدارية، واستفادوا بما لديهم من كفاءات، ومنحوهم حق توريث وظائفهم الإدارية لذرياتهم .[7]

---

[3] – عبد الفتاح العواري، مفهوم المواطنة، سلسلة تفنيد الفكر المتطرف (1)، المنظمة العالمية لخريجي الأزهر، 2018م، ص12

[4] – سورة الحجرات، الآية 13

[5] – للمزيد راجع: پرويز اشرفى، هندوستان ميں مسلم حكومت كى شاندار تاريخ، نئى دهلى 2019ء، ص16: ص19

[6] – عصام الدين عبد الرؤف الفقى، بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، 1423هـ/ 2002م، ص274، 276

[7] – عبد الله محمد جمال الدين، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى أخر فترة الحكم العربي، الطبعة الأولى، القاهرة 1991م، ص: 218: 220 ، مفتى شوكت، هندوستان پر اسلامى حكومت، كراچى 2005ء، ص8

فعندما حكمت الدولة الغزنوية بالهند، عملت على ترسيخ قيم المواطنة والتسامح الديني واحترام الرعايا من غير المسلمين، وقد اعترف بعض المؤرخين الهندوس بما شهدته فترة حكمهم من تلك القيم السامية، فلم يجُبر أحد من معتنقي الديانات الآخرى على ترك معتقداته والدخول في الإسلام، بل شارك الهندوس في فترة حكمهم في الشئون الإدارية للبلاد، وعُهد إليهم مناصب هامة في الجيش، ولم يكن هناك أي تمييز من حيث الديانات أو المعتقدات.[8]

اتبعت الدولة الغورية المسلمة نفس المنهج القرآني في حكم الهند، إذ نجح سلاطينها في إقامة دولة إسلامية في شمال الهند، واتسم عصرهم كذلك بالتسامح الديني، ورعاية أهل الذمة، خاصة فترة حكم شهاب الدين الغوري والتي تتسم – وفقاً لآراء المؤرخين- بالتسامح الديني مع الراجبوت بوجه خاص، إضافة إلى إحسانه للغلمان الأتراك، والاهتمام بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم، حتى تقلد البعض منهم مناصب رفيعة في الدولة.[9]

ومع قيام الدولة المغولية شهدت الهند أزهى عصورها، فتوحدت البلاد تحت راية الحكم الإسلامي، وتأسست حضارة كبيرة شملت معظم نواحي الحياة. وكان ذلك نتيجة لما اتسم به حكامها من العدل والتسامح الديني، واتباعهم لمنهج الإسلام في إرساء مبادئ الأخوة الإنسانية والتسامح الديني، من خلال المساواة بين أفراد المجتمع، وكفالة حقوق الرعايا على اختلاف أطيافهم ودون تمييز بين الأديان والمعتقدات، وتحقيقياً لقيم الموطنة والتعايش السلمي، وبناء مجتمع متكامل .[10]

وقد تضمنت كتابات المستشرقين عن الدين الإسلامي، ونظام الحكم الإسلامي بالهند، الاعتراف بسماحة ومساواة الدين الإسلامي، وإكرامه لغير المسلمين، من خلال مقاراناتهم بين أحوال الشعب الهندي قبل دخول الإسلام وبعده بالهند.

فقارن المستشرق البريطاني توماس ارنولد[11] بين الأخوة الإنسانية والمساواة التي ينادي بها الدين الإسلامي والنظام الطبقي الذي تفرضه الديانة الهندوسية، فذكر في كتابه (الهندوكية والإسلامية) مم يتكون النظام الطبقي للهندوس، وكيف لا يحقق العدالة بين الأفراد –وفق ما ذكر- مقارنة بالنظام الاجتماعي للمسلمين

---

[8] – پرويز أشرفى، هندوستان ميں مسلم حكومت كى شاندار تاريخ، ص28: ص33

[9] – المرجع السابق، ص39

[10] – للمزيد راجع: عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم، ص168: 208

11 – مستشرق بريطاني، ولد عام 1864م، بدأ حياته العملية في جامعة كيمبرج، تعلم اللغة العربية، وانتقل للعمل في جامعة عليگڑھ الإسلامية بالهند، وعاش هناك عشر سنوات ألف خلالها مؤلفه الشهير (الدعوة الإسلامية) وعمل استاذ للفلسفة في جامعة لاهور، ثم عاد الى لندن عام 1904م . رافق كل من سر سيد احمد خان و محمد اقبال وسيد سليمان ندوى وشبلى نعماني. توفي عام 1930م بلندن. R.m.wikipedia.org

والذي ألغى نظام الطبقات وأحل محله قيم المساواة والمواطنة، والذي ضمن مشاركة الهندوس وغيرهم من الأديان الأخرى في مختلف الوظائف الحكومية في الهند الإسلامية.[12]

وذكر المؤرخ "بيتر ولدويل" في كتاباته : "كان سكان هذه المنطقة (الهند) في رغد من العيش، وسعة من الرزق يقضون حياتهم مطمئنين آمنين من الخطر والخوف على النفوس والنفائس، إذ لم يكن الملوك يتحينون الفرص لحرمان رعاياهم مما يتمتعون به من الحياة الطيبة، وما رزقوه من الأموال الطائلة، وما منحوه من العظمة والأبهة." ويقول "لورد وليم بنتنج" وكان حاكما في الهند في تحقيق أجرى عام 1882م: "إن أكثر الأشياء كانت في عهد الحكومات الإسلامي أحسن منها في عهد السيطرة الانجليزية، فالمسلمون سكنوا في البلاد التي فتحوها، واختلطوا مع أهلها وتزاوجوا معهم، والمسلمون أعطوا الحقوق كلها لأهل الهند، وكان الحاكم والمحكوم سواء في المزاج والعواطف والمودة. وما كانت بينهم تفرقة بأية حال، وعلى عكس ذلك كانت سياسة الانجليز في الهند، فإنهم لم يشركوا معهم الهنود في أي أمر من أمور الحكومة، ومن جانب آخر أنشبوا أظفارهم في خيرات البلاد، وقبضوا على كل شئ."[13]

المبحث الأول

الدولة الآصفية في حيدر آباد منذ التأسيس وحتى السقوط والانضمام للهند

أقام نظام الملك جين قليج خان "آصف جاه الاول" مير قمر الدين خان الدولة الآصفية في الدكن عام 1724م، واستمر حكم هذه الدولة أكثر من مائتي عام، بفضل منهج حكامها المسلمين في الحكم، والذي اتسم بالعدل والمساواة، وإقرار مبادئ المواطنة والتعايش السلمي بين كل أفراد المجتمع من سكان حيدر آباد، بمختلف عقائدهم ودياناتهم. وصارت ولاية حيدر آباد في عهدهم واحدة من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، واعتبرت امتدادا للحضارة المغولية التي بدأت تتراجع مع الاحتلال الإنجليزي للهند.

وقُدر لمجتمع حيدر آباد مع حكم ملوك الدولة الآصفية أن يشهد تطوراً شاملاً على كافة المستويات، وأن ينعم بالاستقرار والآمان وقت أن بدأت توابع الاحتلال الرسمي للإنجليز بالهند عام 1857م، فعندما بدأ طوفان الحركات السياسية في الهند بأكملها منذ ثورة التحرير كانت حيدر آباد أشبه بالجزيرة المحفوظة من تلك التقلبات والفوضى السائدة.[14]

تأسيس الدولة الآصفية

تشير المراجع إلى أن تأسيس ولاية حيدر آباد يعود للسلطان قلى قطب شاه، الحاكم الخامس للدولة القطبشاهية، والذي أسسها عام 1591م، فكانت الدولة القطبشاهية تحكم في مدينة كولكنده بجنوب الهند،

---

12 – ياسر المشهداني، الهند الإسلامية من الفتح وحتى نهاية عصر السلطنة في دراسات المستشرقين (بحث منشور)، مجلة التربية والعلم – مجلد (17)، عدد (2) عام 2010م ، جامعة الموصل، ص20

13 – نقلاً عن: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الثالثة 1410هـ/ 1990م، ص375، ص378

14 – نظير آكبر آبادى، اقبال اور حيدر آباد، لاهور 1981ء، ص176

وسميت تلك المدينة التي اتخذ منها عاصمة لملكه بـ"حيدر آباد" بعد أن شهدت توسعات جغرافية كبيرة، ثم أنشأ بها منصباً عرف بأسم "نظام الملك" يعين فيه حاكماً على حيدر أباد تابعاً لحكم السلطان.[15]

واستمر الأمر على هذا النحو إلى أن بدأ الضعف يصيب حكم الدولة المغولية بعد وفاة اورنگزيب وصراع أبنائه وأحفاده على الحكم. وكان فروخ سير ابن بهادر شاه وحفيد أورنگزيب، قد جلس على العرش بعد صراع مرير مع أخوته عام 1124هـ / 1712م، وجعل "قليج خان بہادر"- وكان من حاشيته - والياً على الدكن ومنحه لقب "نظام الملك فتح جنگ"، وهو رأس الأسرة المالكة التي حكمت حيدر آباد بالدكن حتى انتهت بعد التقسيم. [16]

وكانت الأجواء السائدة آنذاك يشوبها العديد من الصراعات السياسية بين الأمراء من أحفاد اورنگزيب للانفراد بالحكم والإطاحة بالملك، واستغلت الطوائف الدينية من السيخ والهندوس والراجبوت والمراهتة تلك النزاعات السياسية وقاموا بالعديد من الحملات والغارات في مختلف المناطق، سواء بالشمال أو الجنوب، قتل خلالها عدد من قادة هذه الطوائف خلال تعقب الجيش الملكي لهم. على الجانب الآخر استطاع الأمراء الإطاحة بالملك "فروخ سير" ثم قتله، وأجلسوا "رفيع الدرجات" على العرش، ونظرا لضعف حالته الصحية ووفاته في نفس العام، تولى بعده أخيه الأكبر "رفيع الدولة" والذي توفي أيضا لمرضه الشديد، واستمرت هذه الحالة من عدم الاستقرار السياسي، إلى أن تولى "أبى المظفر ناصر الدين محمد شاه" في 1131هـ/ 1719م، واستمرت سيطرة الأمراء على الملك والتدخل في شئون البلاد، ومحاولاتهم التخلص من كل قائد قوي يفسد عليهم مخططاتهم، لاسيما وأن كان الملك منصرفاً للهو والعبث، وكان "قليج خان" مؤسس الدولة الآصفية فيما بعد أحد هؤلاء القادة؛ ولذا خططوا للقضاء عليه. ثم قام قليج خان بمواجهة الأمراء في الشمال والجنوب واستطاع أن يتخلص من نفوذهم، ثم استدعاه الملك وأنعم عليه بلقب "آصف جاه" ونصبه رئيساً للوزراء عام 1135هـ/ 1722م، وقد قدم نظام الملك مقترحات لإصلاح حال الدولة تستهدف القضاء على الفساد والظلم الواقع على الشعب، ولم تلق هذه المقترحات قبولاً لدى حاشية الملك لما في ذلك من إفساد لمصالحهم الخاصة، فآثر نظام الملك الرجوع إلى الدكن، وكان في انتظاره المراهتة الذين بدأوا في الإساءة للمسلمين، فقضى عليهم، واستقل بحيدر آباد عام 1137هـ/ 1724م. [17]

حكام الدولة الأصفية

تولى حكم حيدر آباد بالدكن عشرة من حكام الدولة الآصفية، والذين ضربوا أروع مثل للتسامح والعدل والمساواة، وبذلوا جهوداً كبيرة في بناء مجتمع متضامن متحاب، يسوده الأمن والاستقرار، مما مهد لبناء حضارة

---

15 - marefa.org/

16 - عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص299، 300

17 - عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص301، ص306 و سيد امجد على صاحب اشہرى، سوانح عمرى "اعلحضرت نظام الملک آصفجاه مير محبوب عليخان بہادر فرمانروائے حيدر آباد"، بار اول 1911ء، ص14

كبيرة استطاعت أن تكون خلفاً للحضارة المغولية الإسلامية بالهند. كان أول حكماها مير قمر الدين خان "نظام الملك" آصف جاه الأول، والذي أسس الدولة الأصفية في عهد محمد شاه. ولم يهتم نواب نظام الملك بالأمور الداخلية بحيدر آباد فقط، بل أخذ على عاتقه ضبط الأمور الخارجية، ومنها تصديه للفوضى العارمة التي أصابت ولاية "كرناٹک" بالدكن. [18]

ثم تولى مير أحمد خان الملقب بـ "نظام الدولة ناصر جنگ" فيما بين عامي 1748م و 1750م. وخلفه نواب هدايت محى الدين سعد الله خان بهادر والملقب بـ "مظفر جنگ " في الفترة ما بين عامى 1750م و 1751م. ثم نواب سيد محمد خان الملقب بـ امير الملك "صلابت جنگ" فيما بين عامي 1751م و 1762م. ثم نواب مير نظام على خان بهادر، الملقب بـ نظام الملك، آصف جاه الثاني فيما بين عامي 1762 و 1803م[19]. وخلفه نواب مير اكبر على خان سكندر جاه، والملقب بـ آصف جاه الثالث في 20 من ربيع الآخر عام 1218هـ الموافق 19 أغسطس 1803م، وقد اتسمت فترة حكمه بالعديد من التطورات في مجال المعمار والبناء، واتصف بالكرم والأمانة والصدق والاهتمام بشئون الرعايا. وامتدت فترة حكمه حتى عام 1829م. وأثار خبر وفاته في عام 1836م ضجة كبيرة وحزن بالغ من رعيته.[20]

ثم تولى زمام المملكة الأبن الثالث لنواب مير اكبر على خان سكندر جاه، وهو نواب مير فرخنده على خان ناصر الدولة، والملقب بـ آصف جاه الرابع فيما بين عامي 1829 و 1857م. وقد شهدت المملكة في عصره بعض الأزمات المالية، نتيجة لممارسات رئيس وزراءه الهندوسي غير الموفقة، ولكن سرعان ما استردت المملكة وضعها المالي المستقر، وانتظمت أمور الدولة بعد عدة اصلاحات قام بها الملك ورئيس وزراءه الجديد "سر سالار جنگ بـهادر" والذي تم تعيينه رئيساً للوزراء عام 1856م. ثم عادت الأوضاع مرة أخرى للتدهور نتيجة لقيام ثورة 1857م، وتزامن معها مرض ناصر الدولة ووفاته في 17 مايو 1857م.[21]

وخلفه في حكم حيدر آباد نواب مير تهنئة على خان أفضل الدولة، الملقب بـ آصف جاه الخامس فيما بين عامي 1857 م 1869 م، ثم تلاه فاتح جنگ نواب مير محبوب على خان، والملقب بـ آصف جاه السادس فيما بين عامي 1869 و 1911م. ثم تولى أخر حكام الدولة الآصفية فاتح جنگ نواب مير

---

[18] – سيد امجد على صاحب اشہری، سوانح عمری "اعلحضرت نظام الملک آصفجاه میر محبوب علیخان بہادر فرمانروائے، ص14 و يوسف حسين خان صاحب ، ڈاكٹر، تاريخ دكن (عہد حالیہ)، دار الطبع – جامعہ عثمانیہ سركار عالى – 1363هـ / 1944ء ، حيدر آباد ، دكن. ، ص30

[19] – الرجوع إلى يوسف حسين خان صاحب ،ڈاکٹر، تاریخ دکن (عہد حالیہ)

20 – سيد مراد على طالع، سكندر جاه آصف جاه ثالث، سلسلہ مطبوعات ادارہ ادبيات، اردو شمارہ (82)، حيدر آباد 1942ء، ص11: 21

[21] – للمزيد راجع: سيد مراد على طالع، ناصر الدولة آصف جاه رابع، سلسلہ مطبوعات ادارہ ادبيات، اردو شمارہ (88)، حيدر آباد، 1943ء، ص7: ص20

عثمان على خان، والملقب بـ آصف جاه السابع الحكم منذ عام 1911 حتى وقوع حيدر آباد تحت سيطرة الهند عام 1948م.[22]

العلاقات مع الانجليز

بدأت العلاقات الودية بين الدولة الآصفية والانجليز فور تأسيس آصفجاه الأول الدولة الآصفية بحيدر آباد، وفي فترة حكم مير نظام على خان آصف جاه الثاني، كانت كل من انجلترا وفرنسا يحاولان بسط نفوذهما على الهند، وحققت انجلترا عدد من الانتصارات بمعاونة جيوش الدولة الآصفية في القرن الثامن عشر، كما أبُرمت اتفاقية تجارية بين انجلترا وحكومة النظام في عام 1803م بموجبها يمكن لكل من شركة الهند الشرقية والنظام(الحاكم) الحصول على الإيرادات المادية، إضافة إلى قدرة حاكم حيدر آباد بموجب هذه الاتفاقية أن يقيم ميناء سفن خاص به، ومصانع تجارية كذلك في منطقة "مسولى بيتم"[23]. [24]

وعندما تولى نواب ناصر الدولة آصف جاه الرابع الحكم، وواجهته بعض الأزمات المالية نتيجة لسوء إدارة رئيس وزراءه الهندوسي "راجہ چندو لال"، اضطر للاقتراض من الإنجليز حتى يتمكن من دفع رواتب الجيش وغيرها، وكانت مساعدات الإنجليز المادية في إطار معاهدة بمقتضاها ضُمت مقاطعة "برار" إلى شركة الهند الشرقية عام 1853م. ولكن لم يستمر الأمر لفترة طويلة إذ عادت للملكة مكانتها بعد الاصلاحات التي قام بها رئيس الوزراء الجديد "نواب مير على خان سر سالار جنگ".[25]

وعلى الرغم من قوة نفوذ الإنجليز واستئثارهم بأمور العلاقات الخارجية والدفاع، فضلاً عن اضطراب أحوال الهند السياسية بعد الحرب العالمية الأولى، تمتعت حيدر آباد بحالة من الأمن والاستقرار بفضل سياسة الحكام الداخلية، ومراعاتهم حقوق جميع الطبقات، مما أثمر عن تمتع البلاد بحالة من الأمن والاستقرار.[26]

محاولات إثارة الفتن من الهندوس خارج حيدرآباد

عندما قامت الحكومات النيابية بأقاليم الهند عام 1937م، وتمتعت الأكثرية بالحكم، بدأ الهندوس القاطنين على الحدود في إثارة الفتن داخل حيدر آباد، وفقاً لتوجيه حزب المؤتمر الهندي، ولكنهم لم يفلحوا في تمزيق اللحمة الشعبية بالمجتمع الحيدرآبادى، وذلك لما تمتع به كافة أفراد المجتمع من حقوق وحرية ورعاية، مما لا يدع مجالاً للخلافات أو الفتن فيما بين المسلمين وغيرهم. وهذه المحاولات من تمزيق لحمة المجتمع الحيدر آبادي نبهت المسلمين لمحاولات إثارة الفتن والإضرار بالمجتمع، فأسسوا مجلس اتحاد المسلمين بقيادة محمد

---

22 – غلام أحمد وكيل، نظام آباد دكن ماضى وحال كے تاريخى حالات، طبع اول، حيدر آباد دكن 1348ھ، ص42، والرجوع إلى يوسف حسين خان صاحب ، ڈاكٹر، تاريخ دكن (عہد حاليہ)، 1363ھ / 1944ء

23 – مدين تقع في منطقة كريشنا بالهند أثناء الامبراطوية البرتغالية بالهند r.m. Wikipedia.org

24 – سيد مراد على طالع، نوب مير نظام على خان آصف جاه ثاني، سلسلہء مطبوعات ادارہء ادبيات اردو شماره (80)، 24 جمادى اول 1360ھ، حيدر آباد دكن، ص12، 29

25 – سيد مراد على طالع، ناصر الدولة آصف جاه رابع، ص9: ص17 ، وعبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص362

26 – الدولة الإسلامية حيدر آباد دكن، مؤلف غير معروف، ص7، ص8

بهادر خان للتصدي لمثل هذه المحاولات، وقد دافع المجلس عن حق استقلال حيدر آباد وقت تقسيم الهند.[27]

التقسيم واستقلال الدولة الآصفية

بعد التقسيم والإعلان عن قيام دولتين مستقلتين هما الهند وباكستان عام 1947م، كانت شبه القارة الهندية مقسمة إلى ما يقرب من ستمائة إقليم وولاية[28]. وبموجب قانون التقسيم انضمت بعض الأقاليم والولايات إلى الهند، والبعض إلى باكستان.

ولما كان للولايات حق في تقرير مصيرها والانضمام لإحدى الدولتين، فاختارت حيدر آباد أن تبقى مستقلة، وصدر فرمان من الحاكم في الحادي عشر من يونيه عام 1947م، يتضمن أسباب رغبة الولاية في الاستقلال، فذكر أن الولاية تضم سكاناً من مختلف الديانات والعقائد، وأن الانضمام لإحدى الدولتين لابد أن يؤدي إلى غضب بعض الطبقات من الأهالي، وأن الحكومة تفضل الاستقلال وتوطيد العلاقات الودية مع الدولتين. كما أن جميع شرائح المجتمع الحيدر آبادي تفضل الاستقلال للاحتفاظ بالحقوق التي تمتعوا بها طيلة قرون، وفي ظل الاضطرابات والفتن في أنحاء الهند لن يأمن المسلمون على أنفسهم من بطش الهندوس المتطرفين في شمال الهند إلا في حيدرآباد، ولن يأمن المنبوذون وغيرهم من الطبقات التي كانت تعاني من الاضطهاد والنبذ على أنفسهم من استعباد حكومة الهند التي يغلبها البراهمة والذين يسيئون لهم منذ القدم. ولذا فضل الجميع الاستقلال والحياة الهادئة في ظل مجتمع يسوده الأخوة الإنسانية والمساواة والتسامح الديني. [29]

سقوط حيدر آباد وانتهاء عصر الدولة الآصفية الإسلامية

عندما وجدت حكومة الهند تمسك أهالي حيدر آياد –ذات الأقلية المسلمة – بالاستقلال، عقدت اتفاقية مع نظام الملك في نوفمبر عام 1947م عرُفت بإتفاقية الإبقاء على الوضع الراهن " Stand Still Agreement" نصت على تأجيل البت في وضع الولاية لمدة عام، واستمرت المفاوضات خلال هذا العام بين الأطراف، تعهدت الهند خلالها بعدم التدخل في شئون الولاية الداخلية، وحمايتها، ومساعدتها اقتصادياً. ولم تلتزم الهند بما تعهدت به، وسعت لإثارة الفتن الطائفية داخل المجتمع، وقامت بحملة دعايا كاذبة ضد الحكم الإسلامي بحيدرآباد. ثم تطورت الأحداث فيما بعد وفشلت المفاوضات بين الطرفين، وأعدت الهند جيشها لدخول الإمارة في الثالث عشر من سبتمبر عام 1948م، مدعية أنها تقوم بعمل بوليسي لتأديب المتمردين، وأحكمت قبضتها على الولاية، ثم سقطت حيدر آباد وانضمت إلى الهند.[30]

---

27 – المرجع السابق، ص8، 9

28 – https://www.marefa.org/

29 – للمزيد راجع: الدولة الإسلامية حيدر آباد دكن، مؤلف غير معروف، من ص10: 15

30 – للمزيد راجع: احسان حقى، مأساة كشمير المسلمة، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة 1413هـ – 1993م، ص74: 77، الدولة الإسلامية حيدر آباد دكن، مؤلف غير معروف، ص12

المبحث الثاني: المواطنة والتعايش السلمي في عهد الدولة الآصفية في حيدر آباد بواعث ازدهار الحضارة الإسلامية

بنظرة عابرة على التاريخ الإنساني نعلم أن المجتمعات التي تضم مواطنين من ديانات ومذاهب وثقافات مختلفة يشوبها بعض الفوضي والفتن والصراعات، ولم يتمكن حكامها من تحقيق الأمن والاستقرار وبالتالي لم يستقم معها نظام الحكم. أما حكام الدولة الآصفية المسلمون فقد حكموا مواطنين من ديانات وعقائد مختلفة أكثر من مائتي عام بحيدر آباد بالدكن، وكان أغلبهم من غير المسلمين، وقد حظوا فيها بشعبية كبيرة بين رعاياهم من مختلف الديانات والعقائد، ذلك لأنهم وضعوا نصب أعينهم معايير وأسس محددة في حكم البلاد شملت كل مناحي الحياة، وكانت هذه المعايير ترتكز على مبادىء المواطنة والتعايش السلمي من خلال إقامة العدل والمساواة والتسامح الديني وقبول الآخر وكفالة حقوق الرعايا. واستطاعوا أن يصنعوا حضارة بحيدر آباد، تعتبر امتدادا لحضارة الدولة المغولية بالهند، نتيجة لمشاركة جميع أبناء المجتمع الحيدر آبادي دون تمييز أو تفرقة، فعملوا على الاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية والأدبية، والتعمير والبناء، والأوضاع الاقتصادية، والاهتمام بتحسين أحوال المعيشة لجميع أفراد المجتمع على كافة المستويات.

الاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية

اهتم حكام الدولة الأصفية بالحياة العلمية والثقافية وأولوها اهتماماً خاصًا، فأنشأوا دور العلم، وقاموا بتكريم من يستحق من العلماء والأدباء والمفكرين، وعنوا بالحياة الأدبية، وكذلك عملوا على تنشيط الكتابة والتأليف والترجمة.

أولاً: إنشاء المدارس ودور العلم

كان حكام وأمراء الدولة الآصفية يولون اهتماما كبيراً بالتعليم ودور العلم، وكانوا يقررون ميزانيات كبيرة لإنشاء المدارس، والانفاق على متطلبات العملية التعليمية بوجه عام، حتى صارت حيدر آباد واورنگ آباد كذلك من أقوى المراكز العلمية والتعليمية في جنوب الهند.

وكان التعليم قديما في الدكن بوجه عام مقتصراً على نشر التعاليم الدينية، وتدريجياً بدأت تدخل العلوم الدينية والفلسفية في المناهج التي كانت تُدرس في دور العلم. وعندما تولى أول حكام الدولة الآصفية، وبعد أن أنهى حروبه الخارجية، وبدأ في ضبط أمور الدولة الداخلية، بدأ الاهتمام بالتعليم، فأقام عدد من المدارس ومنها المدرسة الفاروقية "*مدرسه فاروقيه*" في أورنگ آباد، والمدرسة الشجاعية "*مدرسه شجاعيه*" نسبة لمولانا حافظ شجاع الدين في أحد مساجد حيدر آباد. كما تأسست المدرسة الفخرية "*مدرسه فخريه*" عام 1843م لتدريس العلوم العقلية والمنطق على يد العالم الكبير نواب محمد فخر الدين خان شمس الأمراء الثاني، والذي كان يجيد تلك العلوم، وتحت مظلة هذه المدرسة قام علماؤها بإصدار العديد من المؤلفات في هذه العلوم، وقام نواب محمد فخر الدين باستيراد بعض الأجهزة العلمية القيمة من انجلترا وبعض الدول الأوروبية الأخرى

لتلبية اهتماماتهم العلمية وخدمة المترددين عليها. كما أقام مدرسة على نفقته الخاصة عام 1883م لتعليم الأطفال الفقراء.[31]

وأسس العلماء أنفسهم – بدعم من الحكومة – بعض المدارس ومنها "مدرسة مولوى قمر الدين" و"مدرسة شيخ الإسلام خان" بآورنگ آباد، و"مدرسة مولوى قطب عالم" و" مدرسة مولوى نور العلى" بحيدر آباد، إضافة إلى بعض المدارس الآخرى التي قام الأمراء برعايتها والإنفاق عليها.[32]

بدأت مرحلة جديدة من تطوير منظومة التعليم بحيدر آباد مع تولي نواب ناصر الدولة بهادر آصف جاه الرابع مقاليد الحكم، فأقام مدرسة الطب "مدرسہ طبابت" عام 1845م، لتدريس الطب باللغة الأردية، وتعتبر أول مدرسة تكفلها الحكومة، تخرج فيها كثير من الأطباء. كما أُقيمت مدرسة "دار العلوم" عام 1856م لتكون نواة لإقامة جامعة لتدريس العلوم الشرقية بحيدر آباد، وقد تحولت المدرسة بعد ثلاثة أعوام إلى جامعة كبيرة.[33]

واهتم حكام حيدر آباد اهتماماً كبيراً بتعليم الفقراء، باعتباره حق من حقوقهم، وفرض عليهم أن يمنحوه لرعاياهم، ولذا أقاموا المدرسة النظامية الحكومية " ***مدرسہ نظامی***" والتي تعني بتدريس العلوم الإسلامية والشرعية بالمجان، حتى يتمكن الفقراء من إلحاق أبناءهم بها، حيث كان الغذاء والزي المدرسي بها بالمجان. وفي عام 1897م تقرر زيادة مخصصات هذه المدرسة من الموارد المالية، إذ تم تخصيص 500 ألف روبية للمدرسة، إضافة إلى تأسيس عدة مدارس أخرى منها "سفيد الانام"، و"دهرم نت اسكول".[34]

كما أقُيمت كلية حيدر آباد عام 1878م لتدريس العلوم الغربية، وكلية "دار العلوم" عام 1907م. فضلاً عن تأسيس تنظيمين لتطوير المنظومة التعليمية وهما "مجلس الطلاب القدامى بدار العلوم: انجمن طلبائے قديم دار العلوم" عام 1913م و "المؤتمر التعليمي بحيدر آباد: حيدر آباد ايجوكيشنل كانفرنس" عام 1914م.[35]

ثانياً: الحياة الأدبية

---

[31] – عبد القادر سرورى، حيدر آباد دكن كى تعليمى ترقى گزشتہ ربع صدى ميں، حيدر آباد دكن 1353ھ/ 1934م، ص11: ص22، يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عہد حاليہ)، 1363ھ / 1944ء، حيدر آباد دكن ، ص254 ، ص256

[32] – يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عہد حاليہ)، ص254 ، ص257

[33] – سيد مراد على طالع، ناصر الدولہ آصف جاه رابع، 17 ، وعبد القادر سرورى، حيدر آباد دكن كى تعليمى ترقى كزشته ربع صدى ميں، من ص25: ص28

[34] – عبد القادر سرورى، حيدر آباد دكن كى تعليمى ترقى كزشته ربع صدى ميں، من ص34: ص36

[35] – المرجع السابق، ص38: ص76

كان للأدب بوجه عام والشعر بصفة خاصة مكانة كبيرة لدى حكام الدولة الآصفية، لاسيما وإن كان بعضهم من الشعراء، فبطبيعة الحال كان للأدباء والشعراء والمبدعين حضوراً كبيراً في بلاطهم، وكانوا يحظون بالتكريم والاحتفاء.

فكان نواب ناصر جنگ شاعراً، ورث تذوق الشعر عن والده، وكان تخلصه آفتاب و ناصر، نظم أشعارا باللغتين الفارسية والأردية. كما كان كل من نواب صلابت جنگ ونواب مير نظام على خان آصف جاه الثاني يقدرون الأدباء والشعراء وأهل العلم، وقد حظى الشعر على وجه الخصوص في عصرهم بالانتشار والاهتمام والرقى. كما كانت المنتديات الشعرية تُعقد في "أورنگ آباد" منذ بداية عصر الدولة الآصفية، وحظي فيها الشعراء والمبدعين باهتمام بالغ. وقد وفد كثير من الشعراء في عهد نواب مير نظام على خان إلى حيدر آباد واعتبرها وطنا لهم لما لمسوه من تقدير واهتمام، ومن هؤلاء الشعراء الوافدين : مير غلام على آزاد، غلام على خان خان ارشد، ملا باقر شہيد و نور العين واقف. (36)

استمر هذا الاهتمام بالحياة الأدبية في المرحلة الثانية من عهد حكومة الدولة الآصفية والتي بدأت منذ تولي نواب سكندر جاه الحكم وحتى نواب افضل الدولة، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة مهاراجا چندولال شاداں(37). كما اتسمت فترة حكم نواب مير محبوب على خان آصف جاه السادس برعاية الشعراء الوافدين من خارج حيدر آباد، والذين وجدوا فيها فضاء يساعد على الإبداع، ومن أهم هؤلاء الشعراء الوافدين فصيح الملک داغ وأمير احمد امير مينائى والذان تركا أثراً كبيراً على شعراء الدكن في هذه الفترة. وتجدر الإشارة بأن مير محبوب ذاته كان شاعراً وتخلصه "آصف".(38)

كما كان مير عثمان على خان الملقب ب "بندگان اقدس" شاعراً، ونظم أشعار باللغتين الفارسية والأردية، وكان تخلصه "عثمان". وقد ازدهرت الحياة الأدبية في عصره بشكل كبير، خاصة في مجال الشعر، وقد تضمنت كتب تذاكر الشعراء مدحاً لأشعاره، ومنها ما نظمه الشاعر نواب شهيد يار جنگ شهيد، إذ يقول:

نظام المُلك آصف السابع الملك عثمان

---

36 – يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عہد حالیہ)، ص253 :ص255

37 – رئيس وزراء حكومة الدكن عام 1762م، ولد بمنطقة "برہان پور". ينتمى أجداده إلى لاهور، إذ حصل جده الأكبر راجہ ٹوڈرمل على منصب وزير في حكومة أكبر شاه، وفي عهد محمد شاه أقامت عائلته في دهلى. وعندما وفد نواب فتح جنگ نظام الملك إلى الدكن رافقه جده الأكبر "راجہ چندان" وقد حصل على منصب براتب كبير يُقدر بمئات اللآف من الروبيات. وفي عهد وزارة نواب ارسطو جاه تعين موظفا باللاية، وتدرج في مناصبه إلى أن حصل على منصب بالوزارة. منح لقب "مہاراجہ بہادر" عام 1818م. وتقلد منصبا هاما عام 1820م براتب يقدر بسبعة آلاف روبية، كما منحه النظام قطعة أرض زراعية وجواهر قيمة. وفي عام 1828م نال لقب "راجايان راجہ مہاراجہ چندولال بہادر". وعلى الرغم من قيامه بمهامه الحكومية على الوجه الأكمل كان كذلك يمارس أنشطة العلمية والأدبية، فكان يشارك في المشاعرات ويجالس العلماء . ؒلى أن توفي عام 1846م. (گنپت سہائے سریو استو، اردو شاعرى كے ارتقا میں ہندو شعراء كا حصہ (تحقیقى اور تنقیدى مطالعہ)، آلہ آباد ، بار اول 1969ء، ص182)

38 – يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عہد حالیہ)، ص 256، ص258

شاعر وعاشق للشعر

شاعر شجاع في ميدان الشعر

احتار في طبيعته المعلمون

.....

ذلك الملك الذي حديثه فخر لنا

حين يتحدث (وكأن) بلبل شيراز[39] في الدكن

قدرته في الشعر والنثر اعجاز

على كل لسان دعاء له بطول العمر[40]

ثالثاً: الكتابة والتأليف

شجع حكام الدولة الآصفية على الكتابة والتأليف، وبدأ في عهدهم إصدار المؤلفات التاريخية، ومنها "سوانح دكن" لمنعم خان، و"تاريخ فتحيه" ليوسف محمد خان، واللذان عاصرا آصف جاه الأول. واهتم بعض من المؤرخين بذكر تفاصيل آداب وطقوس البلاط الملكي ومنهم الكاتب الهندوسي منشى منسا رام والذي تحدث تفصيلاً في مؤلَفه عن آداب وطقوس قصر آصف جاه الأول. وفي عهد كل من صلابت جنگ ونواب مير نظام على خان صدرت بعض المؤلفات التاريخية الهامة ومنها " تاريخ راحت افزا" لمحمد على الحسيني، "سرو آزاد" لمير غلام آزاد، "مآثر الامرا" لشاه نواز خان صمصام الدولة، إضافة إلى عدد كبير من المؤلفات التاريخية الأخرى منها "تحقيق بائے ہندوستان" و "بساط الغنائم" و "مآثر آصفى " و" مآثر حيدرى" للچهمى ناران شفيق، و"توزک آصفيه" لتجلى على شاه" و "حديقة العالم" لمرزا ابو تراب و "گلزار آصفيه" لغلام

---

39 – شاعر الفارسية سعدى الشيرازي

40 – نظام آصف سابع جو شاہ عثمان ہیں
سخن پرست سخ اور سخندان ہیں
یہ رزم گاہ سخن کے بھی مرد میدان ہیں
اساتذہ بھی طبیعت یہ ان کی حیران ہیں

.....

وہ شاہ جسکی زباں ہے ہماری مایہ ءناز
دکن میں بول رہا ہے یہ بلبل شیراز
ہے نظم ونثر پر قابو کلام ہے اعجاز

ہر اک-زبان پر دعر ہے کہ اس کی عمر درا(نواب شہید یار جنگ شہید، دکن کے شاعر، حصہ دوم، اردو شعراء کا منظوم تذکرہ، اگست 1963ء، حیدر آباد، ص15، ص16

حسين جوبر. كما صدرت بعض المؤلفات التاريخية الأخرى برعاية أمراء الدولة الآصفية ومنها "تاريخ خورشيد جاهى" و "تاريخ رشيد الدين خالى" لغلام امام خان تحت رعاية نواب شمس الأمراء الثاني.[41]

رابعاً: الاهتمام بالعلوم

عني ملوك وأمراء الدولة الآصفية بالحياة العلمية والثقافية، وكان من بينهم علماء، لهم إصدارات علمية هامة، فعلى سبيل المثال كان الأمير محمد فخر الدين خان شمس الأمراء يولي اهتماما خاصاً بالعلوم الميكانيكية، فأصدر بعض المؤلفات في هذا التخصص ومنها " شمس الهندسہ" و "رستہ شمسیہ". كما تضمنت مؤلفات نواب شمس الأمراء الثاني موضوعات الرياضيات والمساحة والهندسة والكيمياء، والجدير بالذكر أن هذه الموضوعات العلمية تم تناولها للمرة الأولى باللغة الأردية على يد هؤلاء الأمراء، مما ساهم في الارتقاء باللغة الأردية والإضافة إلى تراثها الثقافي.[42]

رابعاً: الترجمات ودور النشر

اهتم أمراء الدولة الآصفية بحركة الترجمة جنباً إلى جنب مع التأليف والتأريخ، فأنشأ نواب شمس الأمراء الثاني إدارة للترجمة والتأليف، ودعمها بخمسين كتاب من مكتبته الخاصة. ومن خلال هذه الإدارة تُرجمت العديد من المصطلحات الغربية في مختلف العلوم والفنون إلى اللغة الأردية. كما أقام نواب مير محبوب على خان آصف جاه السادس داراً للنشر تحت عنوان "سر رشتہء علوم وفنون" نشر من خلالها عدد كبير من الكتب العلمية باللغة الأردية، إضافة إلى نشر مختلف التراجم والمؤلفات للسلسلة الآصفية، وتم تعيين شبلى النعمانى مديراً لهذه الدار. فضلاً عن إنشاء "دائرة المعارف" والتي نشر من خلالها قائمة من الكتب العلمية الهامة باللغة العربية والتي تداولت بين دول العالم الإسلامي. [43]

الجامعة العثمانية

تعتبر الجامعة العثمانية من أهم وأبرز دور العلم في عصر الدولة الآصفية، والتي ساهمت بدور كبير في الارتقاء بالتعليم في هذا العصر، وتم تأسيسها في عهد مير عثمان على والذي اهتم اهتماماً خاصاً بمطالعة العلوم باللغات الانجليزية والعربية والفارسية والأردية، فلقب بـ "سلطان العلوم".

أصدر مير عثمان على فرماناً في عام 1917م بإنشاء جامعة جديدة لخدمة الرعايا، وتحدث في فرمانه عن مبادئ التعليم بها، من حيث المزج بين العلوم والفنون الشرقية والغربية، القديمة والحديثة، كما أشار للغة

---

[41] -يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عهد حاليه)، ص255، ص256، ص257

[42] -يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عهد حاليه)، ص254، ص256

[43] – المرجع السابق، ص254 ، ص256، ص258

الدراسة بها وهي الأردية والإنجليزية، وذكر أن هذه الجامعة ستقام في حيدر آباد بمسمى "الجامعة العثمانية بحيدر آباد: **عثمانیہ یونیورسٹی حیدر آباد**" (44).

كان الهدف من إقامة هذا الصرح العلمي الكبير، الارتقاء بمستوى الرعايا العلمي بمختلف عقائدهم وثقافاتهم دون تمييز، وقد أشار نواب حيدر يار جنگ بہادر، عضو المجلس الأعلى للجامعة العثمانية عن طبيعة الدراسة في هذه الجامعة، خاصة فيما يتعلق بالأمور العقائدية، وذلك في خطبته التي ألقاها في مجلس الجامعة عام 1336هـ/ 1918م، قائلاً:" من الضروري لنا في هذه الفرصة أن نصحح الفهم الخاطئ وأن نمحو تلك الفكرة المرتبطة بالأمور الدينية، فهذه الجامعة ليست جامعة دينية، وليست خاصة بمعتنقي ديانة معينة، فهي جامعة أكاديمية بوجه عام، أبوابها الكريمة مفتوحة لكل الأديان والشعوب. ولكون المذهب الحنفي دستور هذه السلطنة ومذهبها لفترة طويلة، فأُقيمت شعبة الأديان لتدريس المذهب الحنفي، وهي شعبة مستقلة تماماً، والالتحاق بها متوقف على رغبة الطلاب. والتعليم الديني إلزامي فقط على طلاب المذهب الحنفي في قسم العلوم والفنون، أما باقي الطلاب والذين ينتمون لديانات ومعتقدات أخرى فمقرر عليهم تدريس مناهج التربية الأخلاقية فقط"(45).

حرص مير عثمان علي على توفير كل السبل كي تؤتي هذه المؤسسة العلمية الكبيرة ثمارها في الارتقاء بالمستوى العلمي والتعليمي لأبناء المملكة، ولذا ألحق بالجامعة داراً للترجمة، وتُرجم من خلالها العديد من المؤلفات العربية والفارسية الهامة إلى اللغة الأردية، وتُرجم من خلالها عدد كبير من المصطلحات في مجال الطب والهندسة ومختلف العلوم والفنون الأخرى من اللغات الأوروبية إلى اللغة الأردية، الأمر الذي أضاف إلى ميراث اللغة والأدب الأردي.(46) وأصبح لهذه الجامعة مكانة كبيرة بالدكن، لا تقل أهمية عن الجامعات العالمية الكبرى.

دائرة المعارف العثمانية

تأسست دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد في مبنى قريب من الجامعة، وانطلقت فكرة إنشاءها عام 1306هـ/ 1888م وصدر لها مرسوم ملكي خاص عام 1890م، في عهد آصف جاه مير محبوب على خان، بتخصيص ميزانية سنوية خاصة بها تُقدر بستة آلاف روبية، وانضمت إلى الجامعة العثمانية في عهد

---

44 - يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عہد حالیہ)، ص260: ص262

45 - اس موقع پر ایک-غلط فہمی کا رفع کر دینا ضروری ہے-دینیات کا ذکر نکر یہ خیال نکرنا چاہیے کہ یہ جامعہ کوئی مذہبی جامعہ ہے اور کسی خاص مذہب کے پیروون کے سانھہ- مخصوص-واقعہ یہ ہے کہ یہ جامعہ ایک-عام علمی جامعہ ہے جس کے فیض بخش دروازے جملہ مذاہب واقوام کے لئے کھلے ہوئے ہیں-اس سلطنت مدید مدت کا شاہی مذہب اور اساس قانون چونکہ حنفی مذہب ہے اسلئے صرف حنفی مذہب کی تعلیم کے لئے شعبہء دینیات قائم کیا گیا ہے-جو بجائے خود مستقل ہے-اور اوسمیں داخل ہونا طالبعلم کی مرضی پر موقوف ہے-شعبہء علوم وفنون میں صرف حنفی طلبا کے لئے مذہبی تعلیم اسی لحاظ سے لازم ہے-دوسرے مذاہب کے طلبا کیلئے اخلاقی تعلیم کا نصاب مقرر ہے اور لازم. (نواب صدر یار جنگ بہادر صدر الصدور امور مذہبی سرکار عالی ورکن مجلس آعلی جامعہ عثمانیہ، جامعہ عثمانیہ (خطبہ)، حیدر آباد دکن، 1336ھ-، ص788)

46 - محمد عبد اللہ چغتائی، تمدن ہند میں دکن کا حصہ، لاہور، دیسمبر 1935ء، ص47

"مير عثمان على خان". وقد شهدت هذه الدائرة افتتاح واحدة من أقدم مطابع الكتب باللغة العربية عام 1888م. وكانت دائرة المعارف العثمانية على تواصل دائم مع معظم الجمعيات والمنظمات والجامعات العربية والإسلامية، وقد استقبلت زيارة البعثة الأزهرية إلى حيدر آباد عام 1937م.[47]

تجدر الإشارة إلى رعاية حكام حيدر آباد لمنظومة التعليم في الهند بأكملها، فقدموا كل الدعم لها في فترة الاستعمار الإنجليزي، فمنحوا إعانات مالية كبيرة للعديد من المؤسسات التعليمية والدينية والثقافية سواء للمسلمين أو غيرهم من الديانات الأخرى كالهندوس، ومنها الجامعة الإسلامية "مسلم يونيورسٹی" وجامعة بنارس.[48]

الحياة الاقتصادية ورفع مستوى معيشة الفرد في عصر الدولة الآصفية

اهتم حكام الدولة الآصفية بالأوضاع الاقتصادية، ورفع مستوى معيشة الرعايا على اختلاف أطيافهم ومعتقداتهم ودياناتهم، فعندما تولى آصف جاه الأول مقاليد الحكم كانت الفوضى تعم البلاد، والفساد منتشر في العديد من الدوائر الحكومية.

فعمل جاهداً على تطهير المصالح الحكومية من العناصر الفاسدة، كما اتخذ بعض القرارات الهامة التي حفظت ممتلكات وأموال الرعايا مثل إلغاء الولاية القضاية المحلية والولاية القضائية الجنائية.[49]

وبعد وفاة آصف جاه الأول، بدأ الانجليز والفرنسيون في التدخل في شئون البلاد، وبصفة خاصة في جنوب الهند، وبعد الصراع بين الطرفين كانت الغلبة للانجليز، والذين سيطروا على التجارة بالهند، وانتشرت متاجرهم بكل انحاء البلاد، وكان أهل الدكن يشتهرون بالصناعات اليدوية، وبفضل حكام الدولة الآصفية حظي الرعايا بالأمن والأمان والاستقرار، وارتقت معظم الصناعات والحرف اليدوية بحيدر آباد.[50]

وقد ازدهرت تلك الصناعات التقليدية بوجه خاص في عهد مير عثمان على، حيث اهتم بالحفاظ على الأصالة والتراث الذي اشتهر به أهل الدكن منذ القدم، وعمل على تطويره، فشيد بعض المصانع على الطراز الحديث، ومنها مصانع الأخشاب والحديد والطباعة والسجاد والمفروشات والملابس غيرها. كما تم في عصره تطبيق أحدث المبادئ العلمية في مجال التطور الصناعي، وازدهرت عدد من الصناعات اليدوية الهامة كصناعة

---

47 – عبد الحميد ناصف، مطبعة حيدر آباد الدكن، مجلة التفاهم ، العدد 43، 2014م، ص 359، 361، 370

48 – احمد سعيد خان چهتارى، سر مرزا اسماعيل، بى رام كرشناراؤ، حيدر آباد شخصى حكومت سے جمہورى دور ميں، حيدر آباد، اپريل 1997ء، ص4 و محمد ظهير الدين، مملكت آصفية حيدر آباد كا عظيم الشان ماضى، مقال منشور في 6-10-2021م www.taemeernews.com

49 – خان محمد عاطف، نظام الملک آصف جاه اول (بانى سلطنت نظام) حيات اور شاعرى، نئى دهلى 2012ء، ص56،57

50 – يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عهد حاليه)، ص263

الورق، والسماد، والملابس القطنية والحريرية، والسجاد، والبطاطين، والفضة والمصنوعات الخشبية، مما كان سبباً في انتعاش الأوضاع الاقتصادية في هذه الفترة.[51]

مع هذا الرخاء الاقتصادي تحسنت حالة المواطنين في حيدرآباد على اختلاف أطيافهم، في ظل حكومة إسلامية عادلة تتسم بالعدل والمساواة، وتطبق مبادئ المواطنة في رعاية حقوق المواطنين دون النظر إلى أي اعتبارات دينية، ومما يؤكد ذلك أن معظم مصادر الدخل ظلت بأيدي الهندوس ومنها الزراعة والتجارة، نظراً لتمتعهم بحق توريث الوظائف والممتلكات الزراعية. إضافة إلى رفض حكام الدولة الآصفية تحصيل أية ضرائب على الدخل أو المبيعات من رعاياهم، في حين كان أغلب هذه الضرائب يستفيد منها الرعايا خاصة الهندوس.[52]

التسامح الديني والاهتمام بدور العبادة

ضربت الدولة الآصفية أعظم مثال للاعتدال والتسامح الديني واحترام الأديان والمعتقدات. ولم يتسم أي من حكامها بأي تشدد أو تعصب للإسلام، بل آثروا تطبيق الشريعة الإسلامية بكل مبادئها ورعايتها لحقوق أهل الذمة.

وكان مجتمع حيدر آباد يتكون من مختلف الأفراد الذين يدينون بديانات مختلفة، وعقائد متنوعة، فمنهم الهندوس ويشكلون أكبر شريحة في المجتمع الحيدر آبادى والمسيحيين، والمسلمين والمجوس، والسيخ، والجينيين والمراهتة والبراهمة وغيرهم.

وعلى الرغم من اختلاف أفراد المجتمع الحيدر آبادى في الأديان والمعتقدات، إلا أنهم عاشوا في أجواء من المحبة والأخوة الإنسانية والتسامح الديني وقبول الآخر، تلك القيم التي دعمت الوحدة بين المسلمين وغيرهم. وقد ظهرت قيم التسامح الديني والأخوة الإنسانية بين أفراد المجتمع في احترام كل منهم للآخر، وتوقير رجال الدين من الشيوخ والمتصوفة وغيرهم من الملل والمعتقدات الأخرى، ومشاركة كل منهم في الاحتفالات الدينية للآخر وروح التعاون التي كانت تسود المجتمع آنذاك. وعندما كانت ينشب أية مشاجرة بين الأفراد من أصحاب الديانات المختلفة، كان كل من أكابر الهندوس والمسلمين يجتمعون للبحث في الأمر والفصل فيه، دون أي تمييز طائفي.[53] فكان رباط المحبة والثقة دائم بين الطرفين، وهذا الترابط القوي مكّن المملكة من الاستقرار والتقدم والازدهار.

كان حكام الدولة الآصفية ينظرون إلى الدين باعتباره أمر شخصي، وكان إعلاء القيم الإنسانية هي السمة المميزة لحكم هذه الدولة.

---

[51] – للمزيد راجع: محمد عبد اللہ چغتائی، تمدن ہند میں دکن کا حصہ، ص 56: 58 ، عمر خالدی ومعین الدین عقیل، سقوط حیدر آباد، ص54

[52] – محمد مظہر الدین، زوال حیدر آباد اور پولیس ایکشن، چوٹھا ایڈیشن اگست 1985ء ، حیدر آباد، ص5

[53] – نریندر یم ایل اے، حیدر آباد میں ہندو مسلم تعلقات، حیدر آباد دکن، نوفمبر 1954ء، ص6: ص11

فعندما تولى آصف جاه الأول الحكم وضع نصب أعينه مصالح الرعية، دون النظر لانتمائاتهم العقائدية، فكان المعيار لديه في تقييم الأفراد هو الوفاء والإخلاص والكفاءة وليس ديانته أو معتقداته، وقد حظي الهندوس في عهده بأعلى المناصب الحكومية. وكان "منشى منسا رام" خير دليل على ذلك حيث كان هندوسياً وأحد أعضاء مجلسه الاستشاري، وكان يثق فيه ثقة كبيرة ويستشيره في أمور عديدة تتعلق بالحكم، كما كانت كثير من الإيرادات المالية تحت تصرفه. وقد أقر منشي منسا رام في وصيته التي كتبها قبل وفاته بالشراكة بين الهندوس والمسلمين كانوا شركاء في الأعمال الحكومية.[54]

وسار خلفاء آصف جاه الأول على نفس المنهج، ففي عهد نواب مير محبوب على خان – والذي حظي بحب شديد من قبل الرعية – اجتاح البلاد فيضان شديد عام 1908م، صعدت على أثره كثير من الأرواح إلى خالقها، وانهدمت آلاف المنازل والمنشآت، فأمر بفتح قاعات القصور الملكية لتسكين المتضررين لحين الانتهاء من بناء منازل جديدة لهم، كما انفق ما يقرب من خمسة ملايين من الروبية لمساعدة المتضررين، وذلك دون التفرقة بين مسلم وهندوسي أو غيرهما، وكان كرمه وجوده مضرباً للمثل. وقد عبر مير محبوب ذاته في أحدى أشعاره عن انشغاله بأحوال الرعية واستعداده الدائم لبذل كل ما لديه من أجل رعيته، فيقول:

لا يبخل آصف أبدا بحياته وأمواله

طالما يعمل من أجل إسعاد رعيته[55]

وقد أشاد الشاعر الهندوسي راجه گردهارى پرشاد[56] قائد الجيش في فترة حكم مير محبوب على خان في ديوانه الأردي بعهده، فمدح صفاته وشبهه بكبار شعراء الفارسية نظامى وخسرو وسعدي والفردوسي، قائلاً:

سيد حيدر آباد، أحد شيوخ وطنى * ضوء القمر للشعب – وشمس العائلات**

سعيد الرحلة، انيق المظهر، خطيب ماهر، سعيد الحظ * فصيح اللسان ، حسن الكلام، ذو اخلاق رفيعة، حافظاً للعهد**

حاكم المملكة الأعظم راعي السلطنة * مير محبوب على مدّاح الدكن**

قارض شعر نظامي، وخسرو دولة النظام * سعدي امبراطورية الدكن، فردوسى الهند**[57]

---

[54] – يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (ءهد حالي ه)، ص254

[55] – آصف کو جان ومال سے اپنے نہیں دریغ

گر کام آئے خلق کی راحت کے واسطے (يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (ءهد حالي ه)، ص258، ص259)

[56] – شاعر هندوسي، ولد عام 1867م، تتلمذ على يد الشاعر "عاشق" و"فيض حيدر آبادى"، قدم جده الأكبر رائے دولت رائے إلى اورنگ آباد برفقة نواب آصف جاه نظام الملك، ثم وفد إلى حيدر آباد، وكان والده زهرى پرشاد عالماً بعلوم اللغة السنسكريتية وأصدر عدد من المؤلفات.حصل راجه گرده‌ارى على عدة ألقاب، وورث مناصب رفيعة. كان رجل إقطاعي بارز ومحبا صادقاً لسلطان المملكة الآصفية. وقد تولى منصب قائد الجيش في عهد مير حبوب على . صدر ديوانه الأردي "بقائے باقى" عام 1890م. (گنپت سہائے سریواستو، اردو شاعری کے ارتقا میں ہندو شعراء کا حصہ (تحقیقی اور تنقیدی مقالہ)، بار اول، آلہ آباد 1969ء، ص263)

[57] – ہیں میاں حیدر آباد اک-مرے قومی بزرگ

ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد على تسامح وعدالة حكام الدولة الآصفية أن وقعت مشاجرة في عهد نواب عثمان على خان آصف جاه السابع، بين المسلمين والهندوس عن حيازة أرض بين معبد ومسجد في منطقة "گلبرگہ"، ولفض هناك النزاع تم استدعاء "نواب بہادر یار جنگ"[58] وبعد التحقيق في الأمر اتضح له صحة موقف الهندوسن فعرض تقريره على الحكومة والتي منحت الهندوس تلك الأرض تحقيقاً لمبدأ العدالة والمساواه.[59]

وهناك العديد من النماذج التي ضرب بها حكام الدولة الآصفية مثلاً للتسامح الديني واحترام الآخر. فعند إنشاء المبانى الحكومية، وحينما كانت المنشأة الحكومية تتجاور مع معابد صغيرة متهالكة، لم تقم الحكومة بإزالتها بل عملت على توسيعها وترميمها، ومنها المعابد الهندوسية المجاورة للمحكمة العليا، بالرغم من إمكانية نقل تلك المعابد لمكان آخر وفق طقوس معينة. [60]

ومن حيث التسهيلات الاقتصادية وبنود الإنفاق على الخدمات الدينية، فكانت تتم دون النظر للعقيدة أو الديانة، فأنفقت الحكومة المسلمة مبالغ كبيرة للحفاظ على الآثار القديمة والمزارات الدينية ومختلف دور العبادة بوجه عام، كما عملت على تشييد عدد كبير من المعابد والكنائس والمزارات الدينية والمساجد الأسلامية على طراز معمارى متميز وفقاً لفنون الآثار العالمية بحيدر آباد،[61] إضافة إلى منح رجال الدين من الديانات والعقائد المختلفة رواتب كبيرة تقدر بآلاف الروبيات.[62]

وكان للسيخ نصيباً كبيراً من الاهتمام والرعاية في ظل الحكومة الأصفية، إذ انتشرت دور العبادة الخاصة بهم والمسماه "گوردواره" في أماكن عديدة بالمملكة، كما حظيت بمخصصات مادية وأراضي لم تحظ بها من قبل،

ماہتاب ہالہ قوم– آفتاب خاندان
خوش سیر خوش وضع خوش تقریر خوش نصیب
خوش کلام وخوش مقال وخوشخصال وخوش پیمان
رکن اعظم مملکت کی سلطنت کے کارکن
میر محبوب علی شاہ دکن کے مدح خوان
ناظم نظم نظامی– خسرو ملک–نظام

سعدی ملک دکن – فردوس ہندوستان (راجہ گروہاری پرشاد ، دیوان اردو بقای باقی، لکھنو بشہر ذیقعدہ 1307ھ / ماہ جولائی 1890ء، ص2)

58 – زعيم هندى مسلم بولاية حيدر آباد، ولد عام 1905م عرف بالوعظ الديني، وفي عام 1938م انتخب رئيساً لمجلس اتحاد مسلمى الهند. وخدم فيه حتى وفاته عام 1944م ، كان يدعو للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من الهنود. (ar.m.wikipedia)

59 – محمد مظہر الدین، زوال حیدر آباد اور پولیس ایکشن، چوتھا ایڈیشن اگست 1985ء، حیدر آباد، ص6

60 – المرجع السابق، ص6

61 – لمزيد من التفصيل راجع: محمد عبد الله چغتائى، تمدن هند ميں دكن كا حصه، ص76: ص79

62 – محمد مظهر الدين، زوال حيدر آباد اور پوليس ايكشن، ص6، عمر خالدى ومعين الدين عقيل، سقوط حيدر آباد، بار اول، حيدر آباد هند، سبتمبر 1998ء، ص42

وبدأوا في ممارسة طقوسهم الدينية بكامل حريتهم في ظل أجواء التسامح الديني وحرية العبادة، وأصبح لهم مكاناً مخصصاً يترد عليه السيخ من مختلف الولايات والبلاد لزياته. وقد ورد أن قامت في وقت ما مشاجرة بين السيخ والمسلمين في "ناندير" استمرت قرابة عامين أو ثلاثة أعوام، وراعى النظام الحيادية والاعتدال فانتدب قاضى من خارج البلاد للفصل في هذه القضية حتى يطمئن الطرفين من تطبيق العدالة، وأنفق في سبيل ذلك مئات الآلاف من الروبيات.[63] فضلاً عن تحديد الحكومة الآصفية وظيفة خاصة لتعليم أطفال السيخ. إضافة إلى توريث راتب الموظف السيخي لأحد أبناءه عند وفاته، وعند عدم وجود ابن للموظف المتوفي، يتم البحث عن أحد أقاربه لتوريث راتبه.[64]

وقد اعترف العديد من الهندوس بعدل وإنسانية الحكومة الآصفية، فكتب د. راجيندر پرشاد[65] الرئيس السابق لحزب المؤتمر الهندي وأول رئيس جمهورية للهند في كتابه "ہندوستان کا مستقبل" والمطبوع في 1946م يقول :"كان هناك بحيدر آباد الدكن زاوية لقديس شهير يشرف عليها أسرة براهمية، وقد منح الحاكم المسلم لهذه الزاوية قطعة أرض كبيرة يعود دخلها لهذه الزاوية، وأخمد محاولات البعض لإخراج هذه الأرض من أيادي الهندوس". وأضاف قائلاً: "في هذه الآونة أيضاً تم تخصيص مبلغ مالي من قبل الولاية لمعبد "سيتا رام" بحيدر آباد، كما تم تخصيص قطعة أرض زراعية يعود دخلها والذي يُقدر بخمس وستون ألف روبية لمعبد آخر يقع في "عادل آباد". كما منح النظام قطعة أرض لـ"معبد ناندير: گرودواره نانديڑ" الخاص بالسيخ، والذي يقُدر دخلها السنوي بمبلغ عشرين ألف روبية. "[66]

وأضاف راجيندر پرشاد في كتابه متحدثاً عن التسامح الديني الذي تحلى به المسلمون الفاتحون للهند منذ بداية الفتح الإسلامي، وذكر جزء من وصية ظهير الدين محمد بادشاه غازى (بابر) لأبنه الأمير نصير الدين همايون، والذي يحثه فيها على التحلي بقيم التسامح الديني واحترام الآخر وإقامة العدل والمساواة، فكتب: "بني إن إقليم الهند ملئ بمختلف الأديان والمعتقدات، والحمد لله الذي توجك على هذا الإقليم، ويجب عليك أن تمحي من قلبك تماماً أي تعصب ديني، وأن تحرص دائماً على تحقيق العدالة طبقاً لممارسات كل عقيدة، وبوجه خاص تجنب التضحية بالبقر، وبدون ذلك لن تفز بقلوب شعب الهند، ويمكنك أن تقيد رعايا هذه الدولة بقيود الفضل والإحسان الملكي".[67]

---

63 – محمد عبد الله چغتائى، تمدن هند میں دکن کا حصہ"، ص 18: ص20

64 – محمد ظهير الدين، مملكت آصفيہ حيدر آباد دكن كا عظيم الشان ماضى، مقال منشور بتاريخ 6-10-2021م www.taemeernews.com

65 – د. راجندر پرشاد (3 ديسمبر 1884م – 28 فبراير 1963م) اول رئيس للهند، وأحد أهم زعماء حركة التحرير في الهند أثناء الحكم البريطاني. وكان له دور كبير عند رئاسة حزب المؤتمر الهندي. وقد عُين وزيرا للزراعة بعد انتخابات عام 1946م، ثم اصبح رئيسا لمجلس إعداد دستور الهند. استمرت فترة رئاسته للهند 12 عام تقريبا . ur.m.wikipedia

66 – راجيندر پرشاد، ہندوستان کا مستقبل، دہلى، بار اول يكم جون 1946ء ، ص 76، 77

67 – راجيندر پرشاد، ہندوستان کا مستقبل، دہلى، ص 81، 82

جدير بالذكر أن شمل هذا الفضاء من التسامح والعدالة وحماية حقوق الإنسان، المهاجرين الذين وفدوا إلى حيدر آباد ينشدون الحياة الكريمة، فسمح لهم الحكام بالبقاء بحيدر آباد دون أية أعباء مادية، بل عهدوا إليهم بالعديد من الوظائف الهامة، فعملوا في مجال الطب والمحاماه والصناعة والتجارة. وكان هؤلاء المهاجرين من مناطق مختلفة مثل البنغال والكجرات ومدراس والسند والبنجاب ، وكان أغلبهم من غيرالمسلمين، وكان الحكام يمنحونهم ألقاب " راجه" ، "مهاراجه"، "جنگ"، "دوله" و "ملكا"، كما منحوا بعضهم أراضى زراعية ليستفيدوا من دخلها، فتمتعوا بكامل الحقوق والرعاية مثل المواطنين الأصليين، واعتبروها وطناً لهم.[68]

المساعدات المادية وكفالة المسلمين وغير المسلمين خارج حيدر آباد

امتدت رعاية ومساعدات حكام الدولة الآصفية المادية للمسلمين وغير المسلمين خارج حدود دولتهم، فحينما استحكمت قبضة الإنجليز على الهند، كان الحكام المسلمون يرسلون الإمدادات المادية لدعم المؤسسات التعليمية والدينية ودور العبادة للمسلمين وغير المسلمين، كدعمهم المادي للجامعة الهندية ببنارس، ومعبد بنارس الشهير، ومعبد السيخ المقدس "سنەرى گردواره" بامرتسر. [69]

وكان لسماحة وعدل وكرم حكام الدولة الآصفية صدى كبير لدى الشعراء غير المسلمين المعاصرين لحكمهم، ومن هؤلاء الشاعرة "سروجنى نائيڈو"[70] أحد زعماء حركة التحرير الهندية وعضو حزب المؤتمر الهندي والتي كانت تجلس في صفوف القادة والزعماء أمثال غاندى وجواهر لال نهرو، فقد نظمت أشعاراً تحدثت فيها عن فترة حكم مير عثمان على خان، تقول:

إن من نعيش تحت ظلاله معا متضامنين

كل هؤلاء الذي منحهم دستورك مكانتهم

أقوام وأجناس متنوعة

طوائف ومذاهب متنوعة تعيش منسجمة تحت ظلالك

أسمك بين دعاء الأمة

وأنشودتك على لسانها

يالا إشراق وبريق عهدك الذي تفوق على رونق وجمال أغاني الفردوسي[71]

---

68 – عمر خالدى وعين الدين عقيل، سقوط حيدر آباد، ص28

69 – محمد مظهر الدين، زوال حيدر آباد اور پوليس ايكشن، ص8

70 – شاعرة هندية ومجاهدة في حرب التحرير، رافعة شعار الوحدة بين المسلمين والهندوس. أطلق عليها بلبل الهند. ولدت في الثالث عشر من فبراير عام 1879م بحيدر آباد من أسرة برهمية بنغالية. والدها هو "اگهورے ناتھ چٹو پادهيائے " وفد إلى حيدر آباد عام 1877م في عهد نواب مختار الملك الأول، وأصبح عميد كلية حيدر آباد، ثم عمل استاذا للكمياء في كلية النظام بعد ذلك. ur.m.wikipedia.com و taemeernews.com

71 – جس كے زير سايه هم آهنگى كے ساتھ سب رهتے هيں

كما نجد مهاراجه سركشن پرشاد، أحد شعراء الهندوس والذي تولى منصب رئيس الوزراء في عهد مير عثمان على خان، وقد ضمّن أشعاره بأبيات تحدث فيها عن التسامح الديني وحرية العبادة وكامل الحقوق التي تمتع بها الهندوس في ظل حكم الدولة الآصفية، وبصفة خاصة مير عثمان على خان آصف جاه السابع، يقول في إحدى غزلياته:

تحققت رغبات الجميع من عزة وكرامة وثراء ** الآن لم يعد هناك حلم لهذا الحبيب في الدنيا

آيا شاد كيف يبقى الهندوسي حراً من أي قيود على الدين ** إن لم يبق هناك مسلم [72]

كما يمدح صفات العدل والكرم والسخاء ورعاية حقوق العباد والتي اتصف بها مير عثمان، إضافة إلى التسامح الديني وحرية العبادة التي اتصف بها عهده، إلى جانب القوة والتفوق العسكري ملقباً إياه بالحاكم الرحيم، حيث يقول:

إن كان عليك وصف شخصاً ما ** فعليك أن تمدح عدله وكرمه وسيفه

راعي العباد، عادل، كريم، شجاع، حامي الدين ** هذه هي صفات حاكمنا الرحيم [73]

نتائج البحث

- عندما دخل الإسلام الهند، لقي قبولاً كبيراً بين الطبقات المنبوذة التى كانت تعانى من مظالم المجتمع الطبقي بالهند، فاعتنق عدد كبير منهم الإسلام وعاشوا حياة كريمة تمتعوا فيها بالمساواة مع باقي طبقات المجتمع.

وہ تمام لوگ جنہیں تیرے قانون نے اپنے دامن جگہ دی

رنگا رنگ کی قومیں اور نسلیں

گوناگوں ذاتیں اور مذاہب ترے سایہ ہم آہنگی سے بسر کر رہے ہیں

تیرا نام قوم اپنی دعاؤں میں لیتی ہے

تیرا نام قوم کی زبان پر ہے

تیرا عہد اتنا تاباں اور درخشاں ہے، جو فردوسی کے نغموں سے آب وتاب میں کہیں بڑھ گیا

(taemeernews.com/2021/10/glorious-past-of-princely-state-asifia-hyderabad-deccan)

72 – سب کی خواہش ہی ملے عزت ومال ودولت ***کوئی دنیا میں اب اس یار کا خواہاں نہ رہا

وہ تو آزاد وہی پابندیء ہر مذہب سے *** شاد ہندو بھی رہا کب جو مسلمل نہ رہا

(مہاراجہ سرکشن پرشاد بہادر یمین السلطنہ، کلام شاد، نظامي پریس بدایون، ص10)

73 – گر کسی کو وصف کرنا ہی تو لازم ہی اسے ** عدل کی مدحت کرے یا بذل یا تلوار کی

بندہ پرور عادل وباذل شجیع ودین پناہ ** ہیں یہ تعریفیں ہماری رحمدل سرکار کی (مہاراجہ سرکشن پرشاد بہادر یمین السلطنہ، کلام شاد، ص58)

- حرص الحكام المسلمون بالهند على تطبيق منهج الشريعة الإسلامية أثناء حكمهم، والالتزام بمباديء المواطنة والتعايش السلمي منذ بداية فتح العربي الإسلامي للهند، فتمتع أصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى بكامل حقوقهم، ومارسوا شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية كاملة، وتقلدوا مناصب رفيعة في الأمور الإدارية والمجالات الاقتصادية.
- تأسست الدولة الآصفية في حيدر آباد بالدكن عام 1724م على يد نظام الملك جين قليج خان "آصف جاه الاول" مير قمر الدين خان، واستمر حكم هذه الدولة أكثر من مائتي عام، بفضل منهج حكامها المسلمين في الحكم، والذي اتسم بالعدال والمساواة، وإقرار مبادئ المواطنة والتعايش السلمي بين كل أفراد المجتمع من سكان حيدر آباد، بمختلف عقائدهم ودياناتهم. وكان معيار تقييم الفرد لدى الحكام المسلمين هو الوفاء والإخلاص والكفاءة وليس الديانة أو المعتقد الديني، وقد حظي الهندوس في عهدهم بأعلى المناصب الحكومية، فوصلوا إلى منصب رئيس الوزراء.
- تمكن حكام الدولة الآصفية من بناء حضارة عظيمة بحيدر آباد، تعتبر امتدادا لحضارة الدولة المغولية بالهند، نتيجة لمشاركة جميع أبناء المجتمع الحيدر آبادي دون تمييز أو تفرقة، فعملوا على الاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية والأدبية، والتعمير والبناء، والأوضاع الاقتصادية، والاهتمام بتحسين أحوال المعيشة لجميع أفراد المجتمع على كافة المستويات.
- حرص حكام حيدر آباد المسلمون على تخصيص أراضي وميزانيات خاصة لبناء وترميم المعابد ودور العبادة لغير المسلمين جنباً إلى جنب مع المساجد. كما أنفقت الحكومة المسلمة مبالغ كبيرة للحفاظ على الآثار القديمة والمزارات الدينية ومختلف دور العبادة بوجه عام دون التفرقة بين الأديان والمعتقدات داخل وخارج حيدر آباد.
- كان للسيخ نصيباً كبيراً من الاهتمام والرعاية في ظل الحكومة الأصفية، إذ انتشرت دور العبادة الخاصة بهم والمسماه "گوردواره" في أماكن عديدة بالمملكة، كما حظيت بمخصصات مادية وأراضي لم تحظ بها من قبل، وبدأوا في ممارسة طقوسهم الدينية بكامل حريتهم في ظل أجواء التسامح الديني وحرية العبادة، وأصبح لهم مكاناً مخصصاً يترد عليه السيخ من مختلف الولايات والبلاد لزياته.
- حظي حكام الدولة الآصفية بشعبية كبيرة بين رعاياهم من مختلف الديانات والعقائد، ذلك لأنهم وضعوا نصب أعينهم معايير وأسس محددة في حكم البلاد شملت كل مناحي الحياة، ارتكزت على مبادىء المواطنة والتعايش السلمي من خلال إقامة العدل والمساواة والتسامح الديني وقبول الآخر وكفالة حقوق الرعايا، وقد اعترف العديد من الهندوس بعدل وإنسانية الحكومة الآصفية بحيدر آباد، فأرّخوا لهذه الفترة، ومدحوا حكامها في كتاباتهم وأشعارهم.

- صارت ولاية حيدر آباد في عهد الدولة الآصفية واحدة من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، واعتبرت امتدادا للحضارة المغولية التي بدأت تتراجع مع الاحتلال الإنجليزي للهند.
- حرص حكام الدولة الآصفية المسلمون ووزرائهم أن تكون العلاقات بينهم وبين الانجليز علاقات يسودها الود والصداقة لضمان استقرار المملكة، وتمثلت هذه العلاقات في بعض الاتفاقيات التي ساهمت في تطوير وضع المملكة الاقتصادي، وحفظت أمن المملكة لسنوات طويلة.
- لم تفلح محاولات الهندوس خارج حيدر آباد لإثارة الفتن والخلافات وتمزيق اللحمة الشعبية بالمجتمع الحيدرآبادى، وذلك لما تمتع به كافة أفراد المجتمع من حقوق وحريات.
- عند تقسيم الهند عام 1947م، رفض المجتمع الحيدرآبادي الانضمام إلى إحدى الدولتين، فتمسك سكان حيدر آباد برغبتهم في الاستقلال، واستمرارهم تحت مظلة الحكم الإسلامي رغم أن أكثرية الهندوس وأقلية المسلمين، ثم دخلت الهند حيدر آباد من خلال عملية بوليسية بحجة تأديب المتمردين في سبتمبر عام 1948م، بعد فشل المفاوضات وانتهاء الفترة الزمنية لاتفاقية الإبقاء على الوضع الراهن والتي أُبرمت في نوفمبر عام 1947م، وأحكمت قبضتها على الولاية، وسقطت حيدر آباد وانتهى عصر الدولة الآصفية المسلمة.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

1. القرآن الكريم
2. احسان حقى، مأساة كشمير المسلمة، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة 1413هـ - 1993م
3. فوزية فتيسى، الحق في حرية ممارسة الشعائر الدينية وضوابطه في ظل أحكام القانون الدولى لحقوق الإنسان، رسالة ماجستير، الجزائر 2010م
4. عبد الحميد ناصف، مطبعة حيدر آباد الدكن، مجلة التفاهم ، العدد 43، 2014م
5. عبد الفتاح العواري، مفهوم المواطنة، سلسلة تفنيد الفكر المتطرف (1)، المنظمة العالمية لخريجي الأزهر، 2018م
6. عبد الله محمد جمال الدين، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى أخر فترة الحكم العربي، الطبعة الأولى، القاهرة 1991م
7. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الثالثة 1410هـ/ 1990م
8. عصام الدين عبد الرؤف الفقى، بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، 1423هـ/ 2002م

9. عمر خالدى ومعين الدين عقيل، سقوط حيدر آباد
10. محمود شلتوت، منهج القرآن في بناء المجتمع، دار الكتاب العربي بمصر، شوال 1375هـ
11. الدولة الإسلامية حيدر آباد دكن، مؤلف غير معروف، دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر

ثانيا: المصادر الأردية

1. راجہ گروہاری پرشاد، دیوان اردو بقای باقی، لکھنو بشہر ذیقعدہ 1307ھ/ماہ جولائی 1890ء،
2. مہاراجہ پرشاد بہادر سرکشن یمین السلطنہ، کلام شاد، نظامي پریس بدایون
3. نواب شہید یار جنگ شہید، دکن کے شاعر، حصہ دوم، اردو شعراء کا منظوم تذکرہ، حیدرآباد، اگست 1963ء
4. نواب صدر یار جنگ بہادر صدر الصدور امور مذہبی سرکار عالی ورکن مجلس أعلی جامعہ عثمانیہ، جامعہ عثمانیہ (خطبہ)، حیدر آباد دکن، 1336ھ

ثالثاً: المراجع الأردية

1. احمد سعید خان چھتاری، سر مرزا اسماعیل، بی رام کرشناراؤ، حیدر آباد شخصی حکومت سے جمہوری دور میں، حیدر آباد، اپریل 1997ء
2. پرویز اشرفی، ھندوستان میں مسلم حکومت کی شاندار تاریخ، نئی دہلی 2019ء
3. خان محمد عاطف، نظام الملک آصف جاہ اول (بانی سلطنت نظام) حیات اور شاعری، نئی دہلی 2012ء
4. راجیندر پرشاد، ہندوستان کا مستقبل، دہلی، بار اول یکم جون 1946ء
5. سید امجد علی صاحب اشہری، سوانح عمری "اعلحضرت نظام الملک آصفجاہ میر محبوب علیخان بہادر فرمانروائے حیدر آباد"، بار اول 1911ء
6. سید مراد علی طالع، سکندر جاہ آصف جاہ ثالث، سلسلہ مطبوعات ادارہء ادبیات، اردو شمارہء (82)، حیدر آباد 1942ء
7. ـــــ، ناصر الدولۃ آصف جاہ رابع، سلسلہ مطبوعات ادارہء ادبیات، اردو شمارہء (88)، حیدر آباد، 1943ء
8. ـــــ، نواب میر نظام علی خان آصف جاہ ثانی، سلسلہء مطبوعات ادارہء ادبیات اردو شمارہ (80)، حیدر آباد، دکن، 24 جمادی اول 1360ھ
9. ـــــ، ناصر الدولۃ آصف جاہ رابع، سلسلہء مطبوعات ادارہء ادبیات اردو شمارہ (88)، حیدر آباد 1943ء
10. عبد القادر سروری، حیدر آباد دکن کی تعلیمی ترقی گزشتہ ربع صدی میں، حیدر آباد دکن 1353ھ/1934م

11. عمر خالدی، معین الدین عقیل، سقوط حیدر آباد (چشم دید اور معاصر تحریروں پر مشتمل منظر اور پیش منظر)، بار اول، حیدر آباد، ہند، ستمبر 1998ء
12. غلام أحمد وکیل، نظام آباد دکن ماضی وحال کے تاریخی حالات، طبع اول، حیدر آباد دکن 1348ھ.
13. گنپت سہائے سریواستو، اردو شاعری کے ارتقا میں ہندو شعراء کا حصہ (تحقیقی اور تنقیدی مطالعہ)، آلہ آباد، بار اول 1969ء
14. محمد مظہر الدین، زوال حیدر آباد اور پولیس ایکشن، چوتھا ایڈیشن، حیدر آباد، اگست 1985ء
15. محمد عبد اللہ چغتائی، تمدن ہند میں دکن کا حصہ، لاہور، دیسمبر 1935ء
16. مفتی شوکت علی فہمی، ہندوستان پر اسلامی حکومت، کراچی 2005ء
17. نریندر ریم ایل اے، حیدر آباد میں ہندو مسلم تعلقات، حیدر آباد دکن، نوفمبر 1954ء
18. نظیر آکبر آبادی، اقبال اور حیدر آباد، لاہور 1981ء
19. یوسف حسین خان صاحب، ڈاکٹر، تاریخ دکن (عہد حالیہ)، دار الطبع–جامعہ عثمانیہ سرکار عالی، حیدر آباد، دکن، 1363ھ/ 1944ء

الأبحاث المنشورة

1. محمد ظهير الدين، مملكت آصفيه حيدر آباد دكن كا عظيم الشان ماضى، مقال منشور بتاريخ 6-10-2021م www.taemeernews
2. ياسر المشهداني، الهند الإسلامية من الفتح وحتى نهاية عصر السلطنة في دراسات المستشرقين (بحث منشور)، مجلة التربية والعلم – مجلد (17)، عدد (2) عام 2010م ، جامعة الموصل

شبكة المعلومات العالمية

marefa.org
taemeernews.com
Wikipedia.com